﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران: 19]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

هذا شُروعٌ في أوّل غرضٍ أُنزلت فيه هذه السّورة، وهو مُحاجّة نصارى نَجْرانَ، فهذا الاستئناف من مناسبات افتتاح السّورة بذكر تنزيلِ القرآن والتّوراة والإنجيل، ثمّ بتخصيص القرآنِ بالذّكر وتفضيلِه بأنّ هديَه يفوق هديَ الكتب قبلَه؛ لأنّه الفُرقان، ولمّا كان الكلامُ المتقدِّمُ مشتملًا على التّعريض باليهود والنّصارى الذين كذّبوا بالقرآن؛ ناسب أنْ يُنوّه بعد ذلك بالإسلام الذي جاء به القرآن، فقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾، ثمّ عَطف ما بعدَه عليه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱخۡتَلَفَ﴾: الخَلْفُ والخُلْفُ: بقاءُ شيء بعد ذهاب آخرَ يقوم مَقامه، أو بقاؤه وراءَه في ظهره، والاختلافُ: عدم الاجتماع على رأيٍ أو موقف أو حُكم واحد، كأنَّ كلَّ واحدٍ يذهب إلى ما جعله الآخرُ خَلْفه، ومنه إخلافُ الموعد: ذَهابُ الأمرِ الموعودِ به، أو ذَهابُ زمنِه والصَّيْرُورة إلى زمن بعدَه[2].

2) ﴿بَغۡيَۢا﴾: البَغْيُ طلبُ شَيْءٍ مع قوّة، والبَغْيُ: الظُّلْمُ والفساد، والبَغْيُ ههنا حسدٌ، وهو ظلمٌ وفسادٌ[3].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

إنّ الدِّين المقبولَ عند الله هو الإسلامُ، الذي يُوجِبُ الانقيادَ لله وحدَه بالطّاعة والاستسلامَ له بالعُبودية، والإيمانَ بالرُّسل جميعًا وبمحمَّدٍ ﷺ الذي خَتم الله به

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/188.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (خلف).
(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (بغي)، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (بغو، بغي).

الرّسالاتِ، فلا يَقْبَلُ اللّهُ دينًا سوى الإسلام الذي أُرسل به، وما اختلف اليهودُ والنَّصارى في دينهم وافترقوا شِيَعًا وأحزابًا إلّا من بعدِ ما قامت عليهم الحُجّةُ بما جاءهم من العلم؛ حسدًا منهم وحِرْصًا على الدّنيا؛ فالاختلاف بعد إتيان الكتابِ أقبحُ وأفحش، إذ الكتاب ما نزل إلّا لهدايتهم، وسعادتِهم، ومَن يكفرْ بآيات اللّه المنزَّلة على رسوله ﷺ فإنّ اللّه سريع الحساب لمَن كفر به وكذّب رسلَه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الاستئنافِ البيانيّ:

قوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ جملة مستأنَفة مؤكّدة للأولى؛ لِبَيَانِ فَضِيلَةِ هَذَا الدِّينِ بِأَجْمَعِ عِبَارَةٍ وَأَوْجَزِهَا[2]، والدّين في اللّغة الجزاء، سُمّيت الطّاعة دينًا لأنّها سبب الجزاء[3]، على طريقة المجاز المرسَل بعلاقة السّببية؛ أي: لا دينَ مَرْضِيًّا للّه تعالى سِوى الإسلامِ، الذي هو التّوحيدُ والتزام الشّريعة.

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ قصرٌ وحَصْرٌ وتقديمٌ وحَذْفٌ وتوكيدٌ:

الدّينُ المقبولُ عندَ اللهِ هو الإسلامُ

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ صيغةُ حصرٍ، وهي تقتضي حصرَ المسندِ إليه الذي هو الدّينُ في المسندِ الذي هو الإسلامُ، على قاعدة الحصرِ بتعريفِ جزأي الجملة، والمعنى: لا دينَ إلّا الإسلام[4]. وقد أُكّد هذا الحصرُ بالحرف إنّ على قراءة الجمهور، وبأنّ على قراءة الكسائي، وفائدة التّوكيد أنّ قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ توحيد، وقولَه: ﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾ عدلٌ، فإذا أردفَه قوله: إنّ الدّين عند اللّه الإسلام، فقد أَذِن أنّ الإسلام هو توحيدٌ وعدل، وهو الدّين عند اللّه[5]. وفي العبارة حذفٌ، وتقدير المحذوف

(1) محمد علي جميل، صفوة التّفاسير: 1/173، وجماعة من العلماء، المختصر في التفسير، ص: 52.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/188.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 2/45.
(4) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 3/190، ومحمد علي جميل، صفوة التّفاسير: 1/175.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/67.

في قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾: إنّ الدّين المقبول أو النافع أو المقرَّر[1] عند الله هو الإسلامُ، وتوكيد الكلام بإنّ تحقيقٌ لما تضمنَّه من حصرِ حقيقة الدّين عند الله في الإسلام؛ أي الدّين الكامل، وهذا موضعُ الحذف إيجازًا.

فائدةُ تقديمِ: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ على كلمةِ ﴿ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾:

الدِّين عند الله هو الدِّين المُعتبرُ لا المعلوم فقط

قولُه: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ وصفٌ للدّين، والعِنْدِيّةُ عِنْدِيَّةُ الاعتبارِ والاعتناءِ وليست عِنْدِيّةَ علْمٍ، فأفاد أنّ الدّين الصّحيح هو الإسلام، فيكون قصرًا للمسند إليه باعتبار قيدٍ فيه، لا في جميع اعتباراته[2]، قُدِّم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ على ﴿ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾؛ للاهتمام، ولبيان شرفِ الدّين وتخصيصِه بكونِه الدِّين الوحيد الذي أنزلَه الله تعالى للبشريّة، وهذا ما صرّحت به الأنبياء في القرآن الكريم، فقال الله تعالى حكايةً عن نوحٍ عليه السلام: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢﴾ [يونس: 72]، وقال عن إبراهيمَ وإسماعيلَ: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ [البقرة: 128]، وقال الله حكاية عن موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾ [يونس: 84]، وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢﴾ [آل عمران: 52]. وغيرُها من الآيات التي تُحقّق قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾.

معنى التَّعريفِ في كلمةِ ﴿ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾:

التّعريف بلام الجِنس قد يفيد القصرَ تحقيقًا، كقولك: زيد الأمير، إذا لم يكن أميرٌ سواه، فالمعنى ليس دينٌ صحيحٌ غيرَ الإسلام؛ باعتبار الكمال عند الله فيكون القصر باعتبار سائرِ الأزمان والعصور؛ إذ لا أكملَ من هذا الدّين، وما تقدّمه من الأديان لم

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 2/45.
(2) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: 2/131.

يكن بالغًا غايةَ المراد من البشر في صلاح شؤونِهم؛ بل كان كلُّ دينٍ مضى مقتصِرًا على مِقدار الحاجة من أمّة معيّنة في زمن معيّن، وهذا المعنى مُفاده أعمُّ، وتعبيرُه عن حاصل صفةِ دينِ الإسلام تُجاهَ بقيّةِ الأديان الإلهيّة أَتمُّ[1].

نكتةُ وَصْفِ اليهودِ والنَّصارى بأهلِ الكتابِ:

التّشنيعُ والتّوبيخُ والتّقبيحُ للمُختلِفينَ من أَهْلِ الكِتَابِ

عبَّرتِ الآيةُ في قوله: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾؛ بقوله: ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ والمُرادُ اليهودُ والنَّصارى، زيادةَ تشنيعٍ وتقبيح عليهم؛ فإنَّ الاختلافَ مع علمِهم بالكتاب في غاية القُبحِ والشَّناعة[2]، وفيه توبيخٌ لنَصارى نَجْرانَ[3].

فائدةُ حذفِ القَيْدِ المبيِّنِ للمُختلَفِ فيه في قولِه تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾:

الإسلامُ هو الدِّينُ الذي اختلفَ فيه أهلُ الباطلِ وتركوا الحقَّ بسببِه قصدًا

لم يُعيَّن المُختلفُ فيه في قولِه تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾ وذلك لحملِ الكلام على العموم؛ لذلك اختُلِفَ في تعيينِه على أربعةِ أقوالٍ؛ أحدُها: دينُهم. والثَّاني: أمر عيسى. والثّالث: دين الإسلام، وقد عرفوا صحّته. والرّابع: نبوّتُه ﷺ، وقد عرفوا صفتَه.

والرَّاجحُ أنَّ المختلَفَ فيه هو الإسلامُ؛ لأنّه تعالى قرّر أنّ الدّين عنده هو الإسلام، ثمّ قال: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، أي: في الإسلام حتَّى تنكَّبوه إلى غيره من الأديان[4]، ويدخلُ في معناه جميعُ الأقوالِ المذكورةِ؛ فإنَّهم لم يختلفُوا في دينِهم إلَّا بتركِ الإسلامِ الذي هو التَّوحيد، وكذلك في شأنِ عيسى عليه السلام.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/190.
(2) محمد علي جميل، صفوة التّفاسير: 1/175.
(3) ابن عطية، المحرّر الوجيز: 1/413.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/71.

ولأجل أنْ يَسمَحَ نظمُ الآية بهذه المعاني المتعدّدة مع وَجازةِ العبارة حُذِف متعلّقُ الاختلاف في قوله: ﴿ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ ليشمَل كلَّ اختلاف منهم: من مخالفةِ بعضِهم بعضًا في الدّين الواحد، ومخالفةِ أهل كلِّ دينٍ لأهل الدّين الآخر، ومخالفتِهم للمسلمين في صِحّة الدّين[1]، وإنكارِهم رسالةَ الرّسول ﷺ، على الرّغم ممّا علِموه في كتابهم من صدق رسالتِه.

دلالةُ عطفِ جملةِ: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ على: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾:

عُطِفَ قولُه: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ على قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾؛ للإخبار عن حال أهلِ الكتاب مِن سُوء تلقّيهم لدين الإسلام، ومن سُوء فهمِهم دينَهم، وجِيءَ بهذا الإخبارِ لبيانِ سببِ اختلافِهم، وهو دينُ الإسلام، وهو ما يترجم الحسدَ العقديَّ، والحقدَ الأخلاقيَّ، وثقافةَ الكراهيَّة تجاه الحقِّ وأهلِه.

معرفةُ أسبابِ الاختلافِ تُعين على العلاجِ والحذرِ من الوقوعِ فيها

وهذا أسلوبٌ عجيب في الإخبار عن حالهم إخبارًا يتضمّن بيانَ سببِه، وإبطالَ ما يَتراءى من غير ذلك من الأسباب، مع إظهارِ المقابَلة بين حالِ الدِّينِ الذي هم عليه يومئذٍ من الاختلاف، وبين سلامةِ الإسلام من ذلك، وذلك أنّ قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ قد آذَنَ بأنّ غيره من الأديان باطلٌ، مع التّنبيه على أنّ سبب البُطلان ما كان عليه أهلُ الكتاب يومئذٍ من اختلافهم وتغييرِهم، ومن جُملة ما بدّلوه الآياتُ الدّالّة على بعثته ﷺ، وفيه تنبيهٌ على أنّ الإسلام بعيدٌ عن مثل ما وقعوا فيه من التّحريف[2].

سرُّ استعمالِ الاستثناء المفرَّغ في أسلوبِ الحصر:

تضمّن قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/197.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/197.

الاختـــلافُ الحقيقيُّ بين أهـلِ الكتابِ وقعَ بعد مجيءِ الإسلام لا قبلَه

﴿ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ ﴾ استثناءٌ مفرَّغًا من أعمِّ الأحوال أو أعمِّ الأوقاتِ؛ أيْ وما اختلفوا في حالٍ من الأحوالِ أو في وقتٍ من الأوقات إلّا بعد أن علموا أنّه الحقُّ الذي لا مَحيدَ عنه أو بعد أن علموا حقيقةَ الأمرِ وتمكّنوا من العلم بها بالحُجج النّيّرة والآيات الباهرةِ.

وفيه من الدّلالة على ترامي حالِهم في الضّلالة ما لا مزيدَ عليه، فإنّ الاختلافَ بعد حصول تلك المرتبة لا يصدُر عن عاقل[1]، فالاستثناء المُفرَّغ يفيد القصر، وفائدتُه إثباتُ اختلافِ أهل الكتاب ونفيُه عمّن سواهم[2].

بمعنى آخرَ: إنّهم اختصّوا بصِفة الاختلاف هنا الموصوفة بقوله: ﴿ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ ﴾، والحقيقةُ أنّ ﴿إِلَّا﴾ سواء كانت في التّفريغ أو في غيره تفيد الاختصاصَ، ومعنى ﴿إِلَّا﴾ اللّازمِ لها الاختصاصُ بالشّيء دون غيرِه[3].

غير أنّ القصر في التّفريغ أعمُّ وأشمل، فلو قلتَ: حضر الرّجال إلّا خالدًا، فقد استثنيتَ حضورَ خالدٍ من الرّجال، وقد يكون في الحضور نساءٌ وأطفال، وكذلك في استثناء الآية فإنّه قد يكون بين عمومِ اليهود والنّصارى مَن هم غيرُ مشمولين في هذا القصر؛ لأنّهم لم يتوصّلوا إلى ما توصّل إليه أهلُ العلم منهم[4].

التـحـذيـر من الاختـــلاف في أصـول الـدّيـن، وأخذُ العِبرة بما طـرأ عـلى أهـل الكتاب منه

بلاغةُ النَّظمِ في سعةِ المعاني:

جاءت الآيةُ على نظمٍ تتوسّع عنده معاني الاختلاف، وفائدة ذلك[5]:

التّنبيهُ على أنّ اختلاف أهلِ الكتاب حاصلٌ مع علمِهم بالحقّ، فهو تعريضٌ بأنّهم أساؤوا فهمَ الدّين، ولهذا استحقّوا التّوبيخ.

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 2/45.
(2) ابن يعيش، شرح المُفصّل: 2/87.
(3) فاضل السامرائي، معاني النحو: 2/215.
(4) فاضل السامرائي، معاني النحو: 2/215.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/197.

الإشارةُ إلى أنّ الاختلاف الحاصلَ بين أهل الكتاب نوعان؛ أحدهما: اختلافُ كلِّ أمّة مع الأخرى في صحّة دينِها، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: 113]، الثّاني: اختلافُ كلِّ أمّة منهما فيما بينها وافتراقُها فِرَقًا متباينةَ المَنازِعِ، وأنّ اختلافهم ناشئٌ عن بغي بعضِهم على بعض، وأنّهم أجمعوا على مخالفة الإسلام والإعراضِ عنه بغيًا منهم وحسدًا.

بلاغةُ المجاز المرسل في قوله: ﴿جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾:

إطلاقُ العِلْم وإرادةُ الآياتِ دليلُ وضوحِها وقطعيّتِها

معنى: ﴿مِنۢ بَعْدِمَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أي: من بعد ما جاءتْهم الدّلائلُ التي لو نظروا فيها لحصل لهم العلمُ، فأَطلق الكلَّ وأراد الجزءَ في قوله: ﴿جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾، على سبيل المجاز المرسلِ، أي: عبَّر بالعلم وهو عامٌّ كليٌّ، المقصود منه التّوراة والإنجيل، أو النبيّ ﷺ، وأراد جزءًا منه وهو الآياتُ التي وردتْ في كُتبهم التي فيها نبوّتُه ﷺ، ودعوتُهم إلى الإيمان برسالته. ولو حمَلْنا العلمَ على الحقيقة، وهو الكتبُ السّماويّة كلّها، لصاروا معاندين، والعِناد على الجمع العظيم لا يصِحُّ، وهذه الآيةُ وردت في كلِّ أهل الكتاب وهم جمعٌ عظيم[1].

فائدةُ التّعبيرِ بالمجازِ المرسلِ في قولِه: ﴿جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾:

الإشارةُ إلى يُسرِ مجيءِ العلمِ لهم دون بذلِ جهدٍ أو بحث

ومجيءُ العلم هو الوحيُ الذي جاءت به رسلُهم وأنبياؤُهم، وآثر التّعبيرَ بقولِه: ﴿جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ على طريقة المَجاز العقليّ؛ فالعلمُ لا يجيءُ ولكنْ يُؤتَى به؛ لأنّ كلمة ﴿جَآءَهُمُ﴾ مؤذِنةٌ بعلمٍ متلقًّى من اللّه تعالى وحيًا إلى رسلِهم عليهم السلام، أي: أنّ العلم الذي جاءهم كان من شأنه أنْ يصُدّهم عن الاختلاف، إلّا أنّهم أساؤوا فكانوا على خلاف مُرادِ اللّه من إرسال الهُدى.

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 7/172.

وفيه إشارةٌ إلى أنّ العلم اتّضح أمامَهم دون طلبٍ مسبقٍ منهم أو جهدٍ بذلوه لتحصيله، مع أنّ العلم يتحصَّل بالجُهد والبَذل، وفيها بيانٌ فضلِ اللّه عليهم واختصاصُه بعلمه سبحانَه.

أثرُ معنى قوله: ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾ في إعرابِها:

البغيُ دائرٌ شائع في أهلِ الكتابِ، وإنَّما كمُلَ عند مجيءِ العلمِ

معنى قولِه تعالى: ﴿ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ ﴾ أي: حسدًا بينهم وطلبًا للرئاسة، لا لشُبهةٍ وخَفاءٍ في الأمر[1]، والمعنى: وما اختلفوا بغيًا بينهم إلّا مِن بعد ما جاءهم العلم. وقيل: المعنى وما اختلفوا إلّا مِن بعد ما جاءهم العلم إلّا للبغي بينهم، فيكون هذا إخبارًا عن أنّهم إنّما اختلفوا للبغي، وهذا أجودُ من الأوّل؛ لأنّ الأوّل يوهم أنّهم اختلفوا بسبب ما جاءهم من العلم، والثاني يفيد أنّهم إنّما اختلفوا لأجل الحسد والبغي[2]، وعليه يكونُ إعرابُ ﴿بَغۡيَۢا﴾ على أنّه مفعولٌ لأجله هو الأوفقُ بالمعنى لا مصدرًا من طريق المعنى، فإنّ قوله: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ قائمٌ مَقامَ قوله: وما بغى الذين أوتوا الكتاب؛ فجعل بغيًا مصدرًا، والفرقُ بين المفعول له وبين المصدر أنّ المفعول له غرضٌ للفعل، وأمّا المصدرُ فهو المفعولُ المطلَق الذي أحدثه الفاعلُ[3]، وهو يدلُّ على أنَّ البغيَ مسلكٌ قديمٌ فيهم، وكمل ظهورُه عند مجيءِ العلمِ.

نكتةُ تأخير ﴿بَيۡنَهُمۡۗ﴾ على جملة: ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ ﴾:

صحّةُ تعلُّقِ (بينهم) بجميع المتقدِّمِ

أُخِّر ﴿بَيۡنَهُمۡۗ﴾ عن جميعِ ما يصلُح للتَّعليقِ به؛ ليتنازعَه كلٌّ من فعل ﴿ٱخۡتَلَفَ﴾ وفعلِ ﴿جَآءَهُمُ﴾، ولفظِ ﴿ٱلۡعِلۡمُ﴾، ولفظِ ﴿بَغۡيَۢا﴾، ومعنى التَّعلُّقِ بهذه الألفاظِ، أي: وما حصل الاختلافُ بينَهم،

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/10.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/78.
(3) الرازي، مفاتيح الغيب: 7/172، 17، وابن عطية، المحرّر الوجيز: 1/413.

وجاءهم العلمُ بينهم، فحصل البغيُ بينهم، أي: أنَّ الاختلافَ والمجيءَ والعلمَ والبغيَ كلَّ ذلك واقعٌ بَيْنَهم، إلَّا أنَّها أوضح ما تكون صراحةً في كونِ البغي بَيْنَهم، وتعلُّقها بالباقي إشارةً، ولهذا أخَّرها لتكونَ إشارةً لبعضِ الألفاظِ، وصراحةً لبعضِها الآخرِ.

بلاغة التّذييل في قوله: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾:

الوعيدُ بمعاقبةِ كلِّ كافرٍ تصريحٌ بليغٌ بمعاقبةِ مَنْ سَبَقَ الحديثُ عنهم

قولُه تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ عامٌّ في كلِّ كافرٍ بآيات الله، فلا يختصُّ بالمختلفين من أهل الكتاب، لكنَّهم يدخلون في دلالتها دخولًا أوّليًّا، لمجيءِ الجملةِ الشّرطيّةِ بعد ذكرِهم، وجملةُ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ قائمةٌ مَقامَ جوابِ الشّرطِ المحذوف علّةً له؛ أي: ومن يكفر بآياته تعالى يُجازِه ويعاقبْه عن قريب فإنّه سريعُ الحساب؛ أي: يأتي حسابُه عن قريب، أو يَتِمُّ ذلك بسرعة.

وفي ترتيب العِقاب على مطلق الكفرِ بآياته تعالى، من غيرِ تعرُّضٍ لخصوصيّة حالِهم من كون كفرِهم بعد إيتاءِ الكتابِ وحصولِ الاطّلاع على ما فيه وكونِ ذلك للبغي؛ دلالةٌ على كمال شدّةِ عقابهم[1].

نكتةُ التّعبيرِ بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ﴾:

تجـدُّدُ الآيـاتِ يلزمُ عنه تجدُّدُ الـكـفـرِ عـنـد الباغين المُكذِّبين

آثرَتِ الآيةُ التَّعبيرَ بصيغةِ الفعلِ المضارعِ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ﴾، ولم تقل: ومن كفر بآيات الله؛ لأنّ فيه دلالةَ التّجدُّدِ والاستمراريّةِ على الكفر، فالمُتحدَّثُ عنه مستمرٌّ على كفره، أي: يكفر بآياتِ الله ممّا يرى ويسمع من الآيات الدّالّة على إحاطته بالكمال سبحانَه، وقوفًا مع تلك الشُّبه وعَمًى عن الدّليل فالله مهلِكُه عاجلًا[2]، وفي التعبير بصيغة المضارعِ إشارةٌ إلى تجدُّدِ الكفر عند تجدُّدِ ظُهورِ الآياتِ.

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 2/45.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 2/44.

نكتةُ إظْهارِ ما حقُّه الإضمارُ في قوله: ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾:

أُظْهِرَ الاسمُ الجليل في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ بعدَ قولِه: ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ بدلًا من إضمارِه وهو ما يقتضيه الظَّاهر؛ لتربية المهابةِ وإدخال الرَّوعة في النّفس؛ فإنَّ للاسمِ الجليلِ في سياقِ الوعيدِ أثرًا لا يخفى.

قوله تعالى: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ بين الاستعمالِ العرفيِّ والكنائيِّ:

من بلاغة النَّظمِ القرآنيِّ تعدُّدُ الاحتمالِ مع إرادةِ الجميعِ

يحتملُ قولُه تعالى: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ احتمالاتٍ عدَّةً: فهو محمولٌ على سرعةِ مجيءِ القيامةِ والحساب؛ إذ هي متيقَّنةُ الوقوعِ، فكلُّ آتٍ قريبٌ.

أو على إحاطته تعالى بكلِّ شيء علمًا، لا يحتاجُ معه إلى عدٍّ ولا فكرة.

أو على قربِ المجيءِ، والمعنى: الحسابُ قريبٌ، فيُجازيهم على كفرهم في الحياة الدّنيا بأيديهم وبأيدي المؤمنين، ثمّ يُنقلون إلى حسابه تعالى في الدّار الآخرة المقتضي لعذابِ الكفرةِ.

أو تكون السّرعة على بابها[1].

وهذه المُحتمِلاتُ مُرادةٌ، فَذِكْرُ سرعةِ الحسابِ دليلٌ على يقينِ القيامةِ، وعلى إحاطتِه بكلِّ شيءٍ، وسرعةِ المجيءِ، ومعنى السُّرعةِ المعروفِ مرادٌ كذلك، وهذا من بليغِ الاستعمالِ.

(1) ابن عطية، المحرّر الوجيز: 1/413، والبقاعي، نظم الدّرر: 2/45.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»